الشاملة . فأتى « طائر الوحدات » ، ليرسم بخفقاته ، صوت لحظات تناقض الواقع ، وارتباطها بالحلم الفلسطيني المحمول على دمـاء « خضرة » . وهي تعبر الحلم الى الواقع . هكذا تتأسس القصيدة ، ولا تبقى داخل جدل الوطن ، الا لترسم القصيدة التي تكتب كل شيء دفعة واحدة . في « جدلية الوطن » ترتسم هذه البدايات من جديد ، دون ان تستطيع ان تكون شكلهـا الخاص . نحن امام الحلم الفلسطيني الذي ينزف دماء ، لكنه لا ينضب . يسقي شجيرات الوطـن وغاباته الخضراء بالوانه . يمتد حول الارض بنبرة لا تزال تحمل توتر اللحظات الاولى وصداميتها . لكننا بعد أن نفرغ من قراءة المجموعة ، نكتشف اننا ما نزال امام بدايات ، لم يتبلور فيهـا سوى حسها الفاجع ، فبقيت تدور حول نفسها . تلتقـط لحظات ، ولا تلتقط الحركة التي تحيط ببنيـة القصيدة .

صوت الاحتجاج

« غير العشاق الان هم العشاق ،
غير القتلة فيك هم القتلة .
يا وطنا يغرق في الرمز الصوفي وفي الدم .
يا مفقودا ،

علمنا ان نوجد في عصر الاشياء المفقودة »...

بهـذه النبرة الاحتجاجيـة ، يفتتح الخليلـي مجاوراته للوطن . انه يناجيه بنبرة غنائية ، دون ان يذوب صوته في داخله، تبقى بينهما مسافة،هي مسافة القدرة على الرؤية من الداخل والخـارج في آن.تسكب هذه النبرة ايقاعها في لهجة غنائية، غير ان ما يعطل على هذه الغنائية قدرتها علـى الامتداد هو غرقها في البحث عن القوافي كما في هذه القصيدة . تأتي القافية لتجيب على ضرورات من خارج اشكال التواتر الذي تقودنا اليه علاقات الشاعر بموضوعه . فنغرق معه في البحث عـن القوافي وكأننـا لا نزال داخـل اطر الشعـر القديم .

« نكتشف الغيمة والوردة فيك ،
نفجر كل الطبقات المكدودة !! »

غير ان هذه الغنائية تستطيع ان تصل الى لحظة صفاء ، حين تتداخل في تداعيات ، تتموسق على ايقاع الاوجاع التي تصاحب الولادة . فيأتي المقطع الشعري ، وكأنه امتداد للحظات تتداخل.

والجذور تهزني ، عطشى نفير عروقها
وانيق من غبش الطريق : قطاف من اهـوى قريب » .

ان النبرة الاحتجاجيـة الواضحة في شعـر الخليلي ، تأتلف داخل قصيدته ، في عنصـر التداخل . فهو يحاول بناء قصيدته على قاعـدة التداعيات التي تتشابك فيها اللحظات . هنا تختلط المعاني ، وتصبح الدلالات ، دلالات احتمالية في الغالب . لكن هذا التداخل الذي تقطعه الفواصل والخطوط المستقيمة ، يقطع النفس الغنائي الـى لحظات . فهو لا يستطيع بحكم اتجاهه الاحتمالي، ان يستوعب الدفـق الغنائي ويوظفه داخـل القصيدة . هكذا تتقطـع اوصال القصيدة الـى اشارات غنائية ، لا ينقذها الا قدرة الشاعر على استعادة صوته الغنائي ، كما في قصيدة « الـى بابلو نيرودا » ، حيث يستطيع الشاعر توحيـد عناصر صوته في انسياب شعري جميل :

« لم يقتلوه حبيبي .
اذا رقص البحر هل يقتلوه ؟
يدي نجمة ، عشبة ، موجة لا تموت ؟ »

من الشعر الى القصيدة . في رحلته الشعرية الاولى ، يطرح علي الخليلي اسئلة على تجربتـه الفنية ، دون ان يجيب عليها . والسؤال الملـح الذي يخرج به قارىء الشعر الفلسطيني المعاصر، هو المدى الذي استطاع فيه الشعر ان يتحـول الى قصيدة . هنا يصبح السؤال المبرر الوحيـد للمحاولة . فمحاولة الشعر في ظروف الانفجـار الدموي الفلسطيني ، هي استشراف لتغيير العلم. وعالم القصيدة ، هو العالم مكثفا في قدرته علـى التحول ، داخل الرؤيا الفنية الى حقل ممارسة . فحين يرفع الشاعر صوت احتجاجه الى اقصـى درجاته ، يكون ضمن هذا الصوت ، يبحث عـن مخارج لبناء عالمه .

بشارة الولادة ومعاناتها التي تأتي في هـذا المقطع الشعري ، متدرجة ، متوثبة ومائلة ، هي معاناة الخلق الشعري . فالخارطة الحمراء هـي الوطن الذي يرسمه المقاتلون ببنادقهم، وبقصائدهم الدموية ، التي تساهم في تغيير العالم .